﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾

[الإسراء: 103]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من الغطرسة الفكريّة إلى الغطرسة الماديّة المنتهية بالغرق

لَمّا ذكرتِ الآية السّابقة كذب فرعونَ وقد زادته الآياتُ الحِسّيَّةُ عُتوًّا في الأرضِ وفسادًا ولم تُقْنِعْه، وكذلك لم تُقْنِعْ أشباهَ فرعونَ من طواغيتِ ملكِه؛ خرجَ فرعونُ عن عَهْدِه، فحاولَ إخراجَ موسى وبني إسرائيلَ بزيادةِ طُغيانِه عليهم، فناسب أن يَذكُرَ إرادته باستفزاز بني إسرائيل: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾[1]؛ فهو انتقالٌ من الغطرسة الفكريّة إلى الغطرسة الماديّة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسْتَفِزَّهُم﴾: (فزز) أصلٌ يدُلُّ على خِفَّةٍ وما قاربَها، تقول: فزَّه واسْتفزَّه، إذا اسْتخفَّه، قالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 76]؛ أيْ: يحملونَكَ على أنْ تَخِفَّ عنها، وأَفزَّه الخوفُ وأَفْزَعُه: أَزْعجَهُ واسْتخفَّه[2]، قالَ أبو ذُؤَيْب: (شَبَبٌ أفزَّتْهُ الكلابُ مُرَوَّعُ)[3]، وقولُه تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾؛ أيْ: يُخرجَ بني إسرائيل، ويُزعجَهم من الأرض، أو يَنفيَهم عن ظهرِها بالقتلِ والاسْتئصال[4].

2) ﴿ٱلْأَرْضِ﴾: (أرض) أَصْلٌ يتفرَّعُ وتكثُرُ مسائلُه، وأصلانِ لا يَنقاسان؛ بل كلُّ واحدٍ موضوعٌ حيث وضَعَتْه العرب، والأصلُ الأوَّل

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 8/ 4470.
(2) الزَّجّاج، معاني القرآن، والأزهري، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فزَّ).
(3) وصدره: والدَّهرُ لا يَبْقَى على حَدَثانه، يُنظر: الشُّعراء الهذليّون، وديوان الهذليين، ص: 10، والجوهري، الصّحاح، والزّبيدي، تاج العروس: (فزَّ)، والشَّبب: الثَّوْر المُسِنّ.
(4) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/ 469، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 365.

- وهو المُرادُ هنا - فكلُّ شيءٍ يَسْفُلُ ويُقابِلُ السَّماء، يُقالُ لأَعْلى الفرَس: سَماء، ولقوائمِه: أَرْض، قال الشّاعرُ في صفةِ فرس[1]:

وأَحْمَرَ كالدّيباجِ أمّا سَماؤُهُ *** فَرَيّا وأمّا أَرْضُهُ فَمُحولُ[2].

والأرضُ الَّتي نحن عليها، هي الجِرمُ المقابلُ للسَّماء، وتُجمَعُ أَرَضين، ولم تجئ في كتابِ اللّهِ مجموعةً، وقولُه تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أيْ: عموم الأرض، أو أرضِ مصر[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أرادَ فرعونُ أن يستخفّ بني إسرائيلَ ويُزيلَهم من أرضِ مصر إمّا بالقتل أو بالإجلاء، فأَغْرقناه ومَنْ معه من جُندِه فأهلكناهم، ولم يَبْقَ منهم أحدٌ[4]، وقد أوجزتِ الآية الحدثَ بإرادة فرعون إهلاكَ بني إسرائيل؛ فأهلكه اللّه بالإغراق.

أهلك الله فرعونَ من حيث أراد إهلاك بني إسرائيلَ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنَى الفاء ودلالتها في جملة: ﴿فَأَرَادَ﴾:

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَأَرَادَ﴾ للسَّببيَّة؛ أيْ: فما تسبَّبَ عن هذا الَّذي هو موجِبُ الإيمانِ في العادةِ إلّا أنَّ فرعونَ أرادَ أنْ يستخِفَّ موسى ومنْ آمنَ معه ويُخرجَهم[5].

قد يكون من الإرادة ما يرمي بالمريد في مهاوي الهَلَكة

نكتةُ استعمال لفظ ﴿يَسْتَفِزَّهُم﴾:

الاسْتفزازُ: الحَملُ على التَّرَحُّل، وهو اسْتفعالٌ من فَزَّ؛ أيْ: طلبُ الفَزِّ، وهو الخِفَّةُ والانْزعاجُ وتركُ التَّثاقل، والسّينُ والتّاءُ فيه، للجَعْل النّاشئ عن شدَّةِ الطَّلب، والحثِّ الَّذي هو معنَى السّين والتّاء؛ أي:

الخلاص من بني إسرائيل بتحريكهم وإزعاجهم لإهلاكهم

(1) البيت لطفيل الغنوي، وهو من ملحقات شعره، ص: 62، والجميَري، شمس العلوم: 1/ 72.
(2) الخليل، العين: 7/ 56، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرَّاغب، المفردات: (أرض).
(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/ 469، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 365.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 64، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 365.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 528.

اسْتخفَّهم وأزعَجهم، وفزَّ بمعنَى: بارَحَ المكان؛ أيْ: أرادَ فرعونُ أن يكونَ موسى ومَن آمن معه فازّين؛ أيْ: خارجينَ من أرض مصر، والمُرادُ بالإخراج: مفارقةُ المكانِ دونَ رُجوع، والاسْتفزازُ أعمُّ من الإخراج، فهو يريدُ أن يَبْرَحوا أرضَ مصر، مع قَتْلِهم واسْتئصالِهم ليضمنَ عدمَ رجوعِهم بالكُلِّيَّة[1].

وهذا المعنَى يمكنُ أن يكونَ من قولِهم: فزَّ الجُرحُ؛ أيْ: سالَ، فيكونُ إخراجُهم كالماءِ إذا سال، وذلك يَقْتضي - كما تقدَّمَ آنفًا - النَّفيَ والقتلَ، للتَّمكُّنِ من اسْتبعادِ الباقين، والبقاءِ على ما هو عليه من الكفرِ والعنادِ، وتَنْصيبِ نَفْسِه إلهًا على مَنِ اسْتخفَّهم فأطاعوه[2].

فالّذي أراده فرعون هو إزعاج بني إسرائيل، بحيث يقومون بأفعالٍ من شأنها أن تُسوِّغ قتلهم وإخراجهم وإهلاكهم، وهذا ديدن الظّالمين في كلِّ زمان.

بلاغةُ الكناية في أثناءِ الآية:

قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ كنايةٌ عن الإبعاد؛ أيْ: إخراجُهم من الأرضِ أرضِ مصرَ الّتي هم فيها، أو من جميع الأرض، ويلزمُ من ذلك قتلُهم واسْتئصالُهم وهو المُراد[3]، ونكتة الكناية أنَّه ذكر الاستفزاز، مريدًا به ما بعده، للتَّنبيه على مسلك الظّالمين في اصطناع المواقف مع المخالفين؛ لإيقاعهم بكلامٍ يصدر عنهم من شأنه تضخيم غضب المستفزِّ، ولذا كان الصَّبر هو مسلك عقلاء المؤمنين.

كيد الظّالمين ينتهي بالبَوار والخسار كما وقعَ لفرعون وجنده

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

اللّامُ في قولِه: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ للعَهْدِ؛ أي: الأرض المعهودة عندَهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 153، 178، 228.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 528.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 176، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 228.

المقيمينَ فيها، وهي أرضُ مصر، فيُخرجُهم منها، ويمكنُ أن تكونَ للجِنْس؛ أيْ: من الأرضِ مطلقًا وذلك بالقَتل[1]، ومتى ذُكرت الأرض عمومًا، فإنّما يُراد بها ما يناسب القصّة المُتكلَّم فيها، وقد يَحسُن عمومها في بعض القصص[2].

مـــن أكـــبر الظُّلمِ وأعظَمِ المـكـرِ إخـــراجُ المستضعفين من أرضهم

براعةُ استعمال الفاء في الجزاء بالمقابلة:

دلَّت الفاء في قولِه تعالى: ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُ﴾ على التَّعقيبِ، في بيان جزاء الفعلِ المأفون على جهة الفور، كما قال تعالى: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: 43]؛ أي: فَعَكَسْنا عليه مَكْرَه، واسْتفززناهُ وقومَه بالإغراق، وهذا التَّعكيسُ أَظْهرُ من الشَّمسِ على الثّاني - أي: الإخراجُ من الأرض - وظاهرٌ على الأوَّل - أي: الإخراج من أرض مصر - لأنَّه أرادَ إخراجَهم من مصر، فأُخرِجَ هو ومَنْ معه أشدّ الإخراجِ بالإهلاك، والزّيادةُ لا تضرُّ في التَّعكيس؛ بل تؤيّدُه[3]، فهو أراد إخراجهم بالقتل من الأرض كلِّها، أو بالإجلاء من أرض مصر، فأخرجه اللّه من الأرض كلّها بالإغراق، والمعنيان لا يتعارضان بل يلتقيان، فأفادت الفاءُ الجزاء بالمقابلة.

مَـــنْ مَـكَـرَ بالآخرين مُكِر به ولو بعد حين

دلالةُ إسنادِ فعلِ ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُ﴾ لضميرِ العَظَمة:

قولُه تعالى: ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُ﴾؛ أيْ: فتسبَّبَ عن ذلك أنْ رَدَدْنا - بما لنا من العَظَمة - كيدَه في نَحْرِه، فلم نُقدِرْه على مُرادِه، واسْتَفْزَزْناه نحن بعظَمتِنا، فلم يقدِرْ على الامتناع؛ بل خفَّ غير عالمٍ بما نُريدُ به حتَّى أَدْخلناه في البحر حيث أَدْخلنا بني إسرائيل، فأَنجيناهم وأغرقناه، وهذا كلُّه فعلُ اللّهِ بعظَمتِه وجَبَروتِه وانْتقامِه[4].

تعظيمُ انْتقامِ اللهِ تعالى من فرعونَ بالإغراق

(1) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/ 469، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 487.
(2) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/ 490.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/ 487، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 176.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 528.

نكتةُ عطف الكلِّ على الواحد:

مَـن يتبع أهـلَ الباطلِ يُحسب معهم ويُجازى بجزائهم

آثر النَّظم ذِكْر فرعون، وعطف مَن معه عليه في الإغراق في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ دون أن يقول: (فأغرقناهم جميعًا)؛ وذلك للتَّنبيه على أثر القيادة الفرعونيَّة في إهلاك مَن يُطيعها في الدُّنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩﴾ [هود: 97 - 99].

دلالة استعمال الاسم الموصول ﴿وَمَن﴾:

لـم يـنـجُ أحـدٌ مـمَّـن كـان مع فرعون لعموم العذاب

استُعمل الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ بلفظ ﴿وَمَن﴾ دون (الّذين) لاستغراق الجميع؛ فإنَّ العادة قد جرت أنَّ الجيوش إذا ذهبت في قتالٍ، أو وقعت في كمينٍ؛ فإنَّه ينجو بعضها، فأتى بالاسم الموصول بهذا اللّفظ لدفع أيِّ استثناءٍ كان، وهذا ما أكَّده قوله: ﴿جَمِيعًا﴾.

نكتة استعمال المعيّة ﴿مَّعَهُۥ﴾:

مَن لازمَ الظّالمين طاله ما يطالُهم

استُعملت المعيَّة في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ دون أن يقول: (ومنْ تبعَهُ)؛ لبيانِ أنَّهم كانوا معه بقلبهم وإرادتهم وصُحبتهم، فهم يرضون بصنيعه وقيادته وإمامته، ففيه بيان عدل الله تعالى، وأنَّه لا يظلم النّاس شيئًا، فهم كانوا معه عند تعذيب بني إسرائيل في أرض مصر، وهم كانوا معه في ملاحقتهم لقتلهم، وهم كانوا معه في كلِّ ظلمٍ وفسقٍ وفجورٍ قام به، وهم كذلك كانوا معه في الغرق الواضح، والإغراق الصّارخ.

بلاغةُ التَّعريضِ بعقاب المشركين:

في الآيةِ الكريمةِ تعريضٌ بتمثيلِ الحالَيْن - حالِ المشركين وحالِ فرعونَ وجُنده - ذلك أنَّ فيها إنذارًا للمشركين، بأنَّ عاقبةَ مَكْرِهم وكَيْدِهم ومحاولاتِهم صائرةٌ إلى ما صارَ إليه مكرُ فرعونَ وكَيْدُه، ففرَّعَ على تمثيلِ حالَي الرِّسالتَيْن وحالَي المُرسَلِ إليهما ذِكْرَ عاقبةِ الحالة

الممثَّل بها نذارةً للمُمثَّلين بذلك المصير، فقد أضْمَرَ المشركونَ إخراجَ النَّبيِّ ﷺ والمسلمينَ من مكَّة، فَمُثِّلتْ إرادتُهم بإرادةِ فرعونَ إخراجَ موسى وبني إسرائيلَ من مصر، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ [الإسراء: 76][1]، فمن حيث أراد استفزازهم لقتلهم وإجلائهم؛ وقع عليه ذلك بالإغراق والإخراج من الأرض كلِّها، وهذا ما سيكون للمشركين إن هم صنعوا ما صنع فرعون وجندُه، ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: 43 - 44].

التَّلويح بالعذاب وقايةٌ لمَنْ تبصّر وهلاكٌ لمَنْ تجبّر

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الاسْتفزازُ والاسْتخفافُ والنَّفْيُ:

معنى الاسْتفزاز: الاسْتخفافُ والإزْعاج، والإخراجُ من المكان والنَّفي[2]، والاسْتدعاءُ اسْتدعاءً تستخِفُّه به إلى جانبِك[3].

الاستفزازُ استخفافٌ بغرض الإخراج، والاستخفاف خاصّ بالاستجهال

وأمّا الاسْتخفافُ: فهو الاسْتجهال، يُقالُ: اسْتخفَّه فلان: إذا اسْتجهَلَه فحَملَه على اتِّباعِه في غيِّه، وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ [الرّوم: 60]؛ أيْ: (لا يزعجنَّك ويُزيلنَّكَ عنِ اعتقادِك بما يوقعونَ من الشُّبَه)[4].

والنَّفْيُ: تعْريةُ شيءٍ من شيءٍ وإبعادُه عنه، ونَفَيْتُ الشَّيء أَنْفيه نَفْيًا، وانْتفَى هو انْتفاءً، ونفيُّ الرّيح: ما تَنْفيه من التُّراب؛ أيْ: تُبعِدُه حتَّى يصيرَ في أصولِ الحيطان[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 228.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فزَّ).
(3) الزَّجّاج، معاني القرآن: 3/ 250، والأزهري، تهذيب اللُّغة: (فزَّ).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، والرَّاغب، المُفردات: (خفَّ).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (نفى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»